إجابة ..!!

أثناء سيرى ليلاً في الشارع الطويل الخالي إلا من كلاب وقطط هزيلة ، اعتادت أن تسير بجواري؛ بحثاً عن طعام لإسكات أسد جوعها؛الذي راح يفتك بها ، فإذا بي أسمع صوتاً أنثوياً يستغيث،في بادئ الأمر حدثت نفسي ساخراً :

اصرخي .. اصرخي أكثر .. فلن تجدي من يغيثك ، ومن ذا الذي يغيثك ، والجميع يصرخ ويئن من البطالة،والجوع؟! وأنا واحد من هؤلاء ، لقد ظللت أصرخ ؛ طمعاً في أن يغيثني أحد من المسئولين ، ولكن دون جدوى ؛ رغم أن صرخاتي مشروعة وسلمية ، بل هي حق عليهم تلبيته وتنفيذه على الوجه الأكمل ، وإلا فما فائدة حصولي طيلة سنوات دراستي الجامعية على درجة جيد جداً ؟! اصرخي..اصرخي بدل المرة ألف مرة ومرة،فلن تجدي من يسمع صرخاتك ، وكيف تريدين من العامة إنقاذك،والبلدة كانت منهوبة طيلة اثنتين وثلاثين سنة ..؟!! وهى الآن تعانى من الفوضى وقلة الأمن _ المقصود _ والذي تسبب في انتشار النهب والفساد المدبر،فهؤلاء (الغلابة) من عامة الشعب منشغلون يريدون عودة أموالهم المنهوبة ، لن يلتفت إليكِ أحد ..

عاودت سيرى من جديد ، وكأنني لم أسمع شيئاً ، وهل لا سمح الله سمعت شيئاً ..؟!! صرخات الاستغاثة الأنثوية راحت تزداد شيئاً فشيئاً،وكأنها خرجت خصيصاً من أجلى..من أجلى وحدي دون غيري. غريزة حب الاستطلاع جعلتني أتوقف ، بل وراحت تجرني جراً حيث مصدر الصوت، وجدتها فتاة سبحان الخالق الوهاب .. يدفعها شاب بالقوة الجبرية للدخول في جوف باب السيارة المفتوح، جمالها الأخاذ، وأنوثتها الطاغية، ونظراتها المصحوبة بالتوسل لنجدتها؛كل ذلك جعلني أهم لنجدتها؛لولا طول السكينة التي راحت تهتز في يد خاطف الفتاة ، ليس هذا فحسب بل وتلك النظرات الحادة ؛ التي راح يصوبها نحوى ذلك الشاب الجالس على عجلة القيادة

- أنقذني .. أنقذني أرجوك ..

قالتها الفتاة الغارقة في دموعها .. هممت لإنقاذها .. أوقفني استفسار شيطاني اللعين الذي ظهر فجأة :

- من تلك الفتاة التي من أجلها تعرض حياتك للخطر..؟!!

قلت وأنا أحك فروة رأسي بأصغر أصابع يدي اليمنى :

- إنها فتاة ..
- هاء .. هاء .. هاء .. هاء .. هاء .. هاء ..هاء ..هاء

ضحكاته الساخرة راحت تلفني، عاد وقال:

- أعلم جيداً أنها فتاة، ولكن ما أعنيه ما صلة قرابتها بك حتى تعرض حياتك للخطر من أجلها..؟!!

قلت وأنا أكظم غيظي:

- إنها فتاة .. فتاة ضعيفة يجب علىَّ الوقوف بجانبها ..
- وأنت .. ألست شاباً ضعيفاً، رحت تصرخ لسنوات طويلة، وكان لزاماً على المسئولين الوقوف

بجانبك ..

- أنقذني .. أنقذني أرجوك ..

دموع الفتاة التي لم تتوقف قط جعلتني أقول له:

- إنها مثل أختي ..

صرخ شيطاني :

- لأول مرة أكتشف أنك كاذب ..وهل لديك أية أخوات..؟!

غسلني خجلي ..

- أنقذني .. أنقذني أرجوك ..

صلابتها، وتوسلاتها إليَّ؛ كل هذا جعلني أهم لإنقاذها ..

بادرني بسؤاله الذي استوقفني:

- من تلك الفتاة التي من أجلها تعرض حياتك للخطر..؟!!

قلت في عجلة من أمري :

- إنها مثل حبيبتي ..

- هاء .. هاء .. هاء .. هاء .. هاء ..هاء ..هاء

راح شيطاني اللعين يضحك ضحكاته الساخرة؛ التي ليس لها لون ولا طعم؛ مما دفعني مغتاظاً لأن أهم لإنقاذها؛ لولا كلماته التعجيزية:

- أنسيت .. أنسيت أن كل من أحببتهن ووثقت وسهرت الليالي تفكر فيهن وبعنك، بل وضربن بحبك عرض الحائط، وتزوجن جميعهن؟!

وجدتني أقف في مكاني مصلوباً كعمود " النور" الخرب

- أنقذني .. أنقذني أرجوك ..

قالتها الفتاة التي كادت قوتها أن تنهار ..

- أجبني .. أجبني أولاً إن كانت لديك أية إجابة ..

قالها شيطاني، وأنا أهم لإنقاذها فتوقفت على الفور .. في عصبية شديدة وجدتني أفرك أصابعي العشرة في بعضها البعض، ثم رميته بكلماتي:

- هي .. هي أنثى .. نعم أنثى ، أنثى مثل أمي ..

- هاء .. هاء .. هاء .. هاء ..هاء ..هاء ..هاء

عادت ضحكاته الساخرة تلتف من حولي .. قال بعد أن هدأت عاصفة ضحكاته:

- تقول أنها أنثى مثل أمك .. أجبني إذن إن كانت لديك أية إجابة .. أتعرف مكان أمك؟!

وجدتني أنظر في الفضاء اللانهائي .. ساخراً عاد يقول:

- أمك التي كانت تعد الساعات والأيام في انتظار مرور شهور العدة ؛ لكي تتزوج ممن أحبته ، أمك باعتك، وباعت أباك من أجل عشيقها الذي يصغرها بسنوات ، وكانت سبباً في موت أبيك؛ بعد أن طعنته في كرامته، عندما واجهته بعدم قدرته على معاشرتها جنسياً أمام أهالي البلدة .. هذه هي الأنثى التي قضت على أبيك ، وتركتك وحيداً بلا أنيس ، وبعد كل هذا تريد إنقاذها!

حديث شيطاني جعلني ألعن كل إناث العالم .. نعم كل إناث العالم، بدل المرة ألف مرة ومرة .. وجدتني أستدير تاركاً المكان، عائداً من حيث أتيت ..

- أنقذني .. أنقذني أرجوك ..

وجدت رأسي تلتفت إلى الوراء، حيث صرخات تلك الفتاة النحيفة ، التي مازالت تقاوم الشاب ، غير عابئة بالسكين التي لم تزل ترتعش في يده .. وجدتني مدفوعاً دفعاً لإنقاذها .. فجأة .. تسمرت قدماي بالأرض؛ من جراء كلماته:

- إلى أين أنت ذاهب؟!!ومن تلك الفتاة التي تريد أن تعرض نفسك للخطر من أجلها؟!أجبني من تكون هذه ؟!!

قلت:

- إنها .....

وتوقف لساني بعدها ..

- هاء..هاء..هاء..هاء..هاء..هاء..هاء..انظر إلى نفسك .. ليست لديك إجابة ، ولن تكون هناك إجابة ، عد سالماً من حيث أتيت ، ولا تعرض نفسك للخطر ..

- أنقذني .. أنقذني أرجوك ..

وجدتني أصرخ فيه بما أوتيت من قوة:

- إنها .. إنها فتاة مسلمة، وديننا الحنيف، ورسولنا الكريم "محمد صلى الله عليه وسلم" أمرنا بالوقوف بجوار من يحتاج المساعدة، و.....

- هاء .. هاء .. هاء .. هاء .. هاء ..هاء ..هاء ..

ضحكاته الساخرة التي تشبه خناجر مسمومة راحت تدخل جسدي لتقطع حديثي ..

أردف يقول في ثقة زائدة :

- دوماً أنت ساذج .. مثلك مثل غيرك من السذج الحالمين .. الواهمين بغد أفضل .. انظر .. انظر جيداً إلى السلسلة المعلقة في رقبة تلك الفتاة .. انظر جيداً .. إنها تحمل في نهايتها "الصليب" .. إنها فتاة قبطية على غير دين الإسلام، فكيف تدفع بحياتك الثمينة الطاهرة لإنقاذ فتاة على غير دينك؟! أجبني .. أتقبل هذا؟! وإن قبلت ، إياك أن تتوهم أنك سوف تموت شهيد الإسلام في أرض المعركة، لا بل سوف تموت على غير ملة الإسلام.

- أنقذني .. أنقذني أرجوك ..

قالتها الفتاة، وهى تتصبب عرقاً وألماً وخوفاً؛ بعد أن ضعفت قوتها؛ وبعد أن نجح الشاب في أن يدخل نصف جسدها داخل السيارة ..

- اذهب لا تبالِ بصرخاتها ، اتركها تواجه قدرها الذي كُتب في اللوح المحفوظ لحظة مولدها ، اذهب لا تعرض نفسك للخطر .

قالها شيطاني ناصحاً إياي ..تركت المكان يموج بصوت صرخاتها .. فجأة .. استوقفني ذلك المشهد البديع ، الذي أذاعته كل فضائيات التلفاز ، ونشرته كل الجرائد والمجلات المصرية، عندما رفع "القس ..... " المصحف الذي راح يعانق الصليب في محبة وإخاء، في أحداث ثورة الخامس والعشرين من يناير..

وجدتني مشدوداً بخيط من الحب والإخاء نحو الفتاة _ التي انهارت قوتها تماماً_ وشيطاني اللعين من خلفي يحاول منعي بكلماته:

- إني أحذرك ..انها حواء .. حواء التي أخرجت آدم من جنة الخلد ، وهى أيضاً التي حتماً ستدخلك القبر سريعاً .. سريعاً على غير دين الإسلام ..

وجدتني أردد :

- إنها فتاة مصرية..إنها فتاة مصرية..إنها فتاة مصرية ..

واندفعت أخلص الفتاة من بين يدي خاطفها الذي ما إن رآني أتجه نحوه في جنون، حتى تركها واستدار إليَّ،وما إن رأيت صدري ينزف دماً، حتى أغشى عليَّ، ولم أشعر بأي شيء بعد ذلك، إلا وأنا هنا داخل المستشفى ممدد فوق السرير. هذه هي إجابتي سيدي المحقق على سؤالك:

- ما الذي جعلك تعرض حياتك للموت لإنقاذ هذه الفتاة؟!